

(عاقبة المفسدين)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ، لا إله غيره ولا معبود سواه ، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره... ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : **(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)** ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين ، اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

وبعد فيقول تعالى : **(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)** .

عباد الله المؤمنين : أنظروا معشر المسلمين إلى قوله تعالى : **(بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)** لم يقل بما كانوا يعملون... فما يحدث في العالم اليوم من زلازل وعواصف وأعاصير وجفاف وحرائق للغابات وللمحاصيل الزراعية هو من صنع الإنسان كاستخدام بعض المركبات الكيميائية التي شاع استخدامها في القرن العشرين في العديد من الصناعات مما أدى إلى تآكل طبقة الأوزون ، طبقة الأوزون تمثل جزءا هاما من الغلاف الجوي المحيط بالأرض فهي تحمي الأرض من تسرب الأشعة فوق بنفسجية ، فالذي لا يتدبر في الظواهر الكونية يكون من الغافلين ، فما نراه من إفساد في الأرض هو من صنع الإنسان لقوله تعالى : **(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)** ومن العجيب أن هذه الآية ذكرت في سورة الروم وقد حدث الفساد من الروم ، وهناك إفساد آخر وهو : أن البشر حاربوا الله وقد يقول قائل : وكيف ذلك ؟ **نقول :** حاربوا الله يوم أن أشركوا معه إلهًا آخر ، أو زعموا بأن له ابنا ، حاربوا الله يوم أن أباحوا الاختلاط في الجيش وفي الوظائف العامة ، حاربوا الله يوم أن أباحوا زواج المثليين وأباحوا الإجهاض ، حاربوا الله يوم أن سمحوا للعرايا السير في تجمعات تحميهم الشرطة ، حاربوا الله يوم أن سمحوا لبعض المطاعم عدم دخولها الإعرايا كما ولدتهم أمهاتهم ، حاربوا الله يوم أن أقاموا تحالفات للسطو على حقوق وممتلكات الشعوب ، وقد يقول قائل : وهل عقاب الله للمفسدين في الأرض يكون عقب إفسادهم مباشرة أم يُمهّلهم وقتا حتى يُراجعوا أنفسهم ويتوبوا ؟ **نقول :** من رحمة الله بخلقه أنه يُمهّلهم وقتا لِيُراجِعُوا أنفسهم ويتوبوا مع نزول بعض العذاب بهم لِيُذَكِّرَهُمْ مثل الأعاصير والعواصف والزلازل والفيضانات والحرائق كما في الآية السابقة : **(لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا)** ويقول : **(وَلَنُذِيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)** هذا بعض العذاب ، أما إذا قابل ظلمهم بمثله ماترك على الأرض من دابة قال تعالى : **(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى)** ويقول : **(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمْ مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى)** ولم لا ؟ فالأجل المسمى عندما يأتي أمر الله ، عندئذ سيأتي فجاء كما قال : **(ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء...)** الأنعام : 45:42 ، ولقد قص الله في القرآن الكريم مافعل ببعض القرى

التي تنكرت لشرع الله ، قال تعالى : **(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ)** فسبأ ملك اليمن من 5000 آلاف عام قبل الميلاد وهو جد العرب القحطانيين الذين هم أكثر العرب اليوم وهو من سلالة هود عليه السلام ، وكان لهم سدٌ عظيمٌ يملأه الله كل سنة بالماء ، أنبتَ الله لهم به جميع أنواع الثمار جنتان عن يمين وشمال ، لكل رجل في سبأ بستانان عن اليمين وعن الشمال ، ذكرَ المفسرون أن النخلة كانت تثمر في السنة مرتين ، جعل الله عليهم الغمام يظللهم من الشمس ، وكانت المرأة تحملُ الإناءَ وتمرُّ من تحتِ الشجر المثمر فيمتلئُ من كثرة ما يتساقط فيه كل شيء من النعم تحت أيديهم ، ولكن ماذا فعلوا ؟ كفروا بأنعم الله كما يقول سبحانه : **(فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ)** قال الله لأهل سبأ آمنوا قالو كفرنا ، فهل أرسلَ عليهم جيشا من السماء ؟ لا بل هم أقلُّ وأذلُّ من ذلك... أرسلَ عليهم فأرة نخرت سدهم ، وفي الصباح إنهار السد...فاجتاح الماءُ الهائجُ بأمواج كالجبال مزارعهم وبيوتهم وأشجارهم فأصبحوا يولولون ويكونُ في رؤوس الجبال ، ثم زادهم حسرة فاستبدل الأشجار المثمرة بأشجار الشوك وغيرها قال تعالى : **(وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ)** فالخَمْطُ : هو كل شج ذي شوك فيه مرارة ، والأثل شجر خشب ، والسدر : النبق ، وقال قتادة : بينما شجر القوم من خير شجر إذ صيره الله تعالى من شر الشجر بأعمالهم فأهلك أشجارهم المثمرة وأنبت مكانها الأراك والخشب والسدر بمثل هذه العقوبات جازى الله بها غيرهم فعندما أرادَ الله أن يخوفَ قومَ فرعونَ أرسلَ عليهم القمل والضفادع والجراد قال تعالى : **(وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ...)** وكذلك عندما أرادَ أن يهلكَ نمرود بن كنعان أرسلَ عليه بعوضة دخلت في رأسه فقتلته ، فما يعلم جنود ربك إلا هو ، فالإنسان ضعيف دائما... وحتى في عصرنا هذا إذا أفرزت الذبابة بعض لعبها على طعام ما حولته إلى مادة أخرى ولن يستطيع الإنسان مهما أوتي من علم أن يسترد المادة الأولى وأن يعيد الطعام إلى حالته الأولى قال تعالى **(وَإِنْ يَسْأَلُكَ الدُّبَابُ شَيْئًا لَاسْتَغْفِرْهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)** ثم يقص علينا نعمة أخرى فيقول تعالى : **(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ)** يذكرُ تعالى ما كانوا فيه من النعمة والأماكن الآمنة والقرى المتواصلة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها بحيثُ إنَّ مُسَافِرَهُمْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى حِمْلِ زَادٍ وَلَا مَاءٍ بَلْ حَيْثُ نَزَلَ وَجَدَ مَاءً وَثَمَرًا ، وَيُقِيلُ فِي قَرْيَةٍ وَيَبِيتُ فِي أُخْرَى ، أي أنَّهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة فهل شكروا الله ؟ كلا بل طلبوا المعاناة والشقاء فقالوا كما قال الله تعالى : **(فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)** فمزق الله بلادهم وجعلها بعيدة عن بعضها بحيث لا يأمن أحد على نفسه في مقام أو سفر وأصبحوا حديث الناس في كل مكان ، فعلى الإنسان أن يشكر ربه بسخاء ليزيده ربه بسخاء...فالجزاء من جنس العمل قال تعالى : **(لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)** والشكر ليس بالكلام بل بالعمل قال تعالى : **(اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)** وقال صلى الله عليه وسلم : **(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)** .